الإمامة.. والتقية.. والمتعة

نقاط

الاتفاق بين أهل السُـنّة والشـيعة كثيرة كما ذكرنـا، وأهمها الاتفاق على المبادئ الأساسـية والأصول (التوحيد- القرآن- السُنّة- الأركان الخمسة) وبعد ذلك هناك نقاط اختلاف أساسية لا يمكن إغفالها. وفى نفس الوقت لا يمكن أن تمنع التقاء الطائفتين تحت مظلة الإسلام.

ومن أهم نقط الاختلاف التى يكرر الحديث عنها الباحثون ويشيرون إليها فى أوثق كتب الشـيعة وهو كتاب (الكافى) للكلينى، أن الإمام له صلة روحية بالله من جنس الصلة التى للأنبياء والرسل. ولأهمية هذه القضية نعود إليها بالتفصيل.

وينسب الكلينى إلى الإمام الرضا أنه قال: (الفرق بين الرسول والنبى والإمام أن الرسـول هو الذى ينزل عليه جبريل فيراه ويسـمع كلامه وينزل عليه الوحى، وربما رأى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم. والنبى ربما سمع الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسـمع. والإمام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشـخص..) فالإمام بهذا النص يوحى إليه وإن اختلف طريق الوحى إليه عن الطريق الذى يصل الوحى به إلى النبى والرسـول، (والله أعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل، إن زاد المؤمنون شيئا ردهم، وإن نقصوا شـيئا أتمه لهم، وهو حجة على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام، حجـة الله على عباده، ولو لم يبق فـى الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة وكان هو الإمام).

والإيمـان بالإمام جزء من الإيمان، ومن كتـاب أصول الكافى ينقل أحمد أمين فى كتابه (ضحى الإسـلام) ما ينسـب إلى الإمام أبى جعفر الصـادق ومن ذلك: (إن معرفة الله هى تصديق الله ، وتصديق رسـوله، وموالاة الإمام علىّ الائتمام به وبأئمة

الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله من عدوهم. هكذا يُعرف الله)، و(إن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له، أصبح ضالا تائها، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق) ويفسر الآية١٢٢ من سورة الأنعام:﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ على أن النور هو الإمام يسير الناس على هداه، كما يفسرون الآية ٨٤ من القصص وآية٨٩ من سورة النمل:﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ بأن الحسنة هى معرفة الولاية وحب آل البيت والسيئة هى إنكار الولاية وبغض آل البيت. ومن كتاب (أصول الكافى) أيضا ينقل أحمد أمين قول الرضا (الناس عبيد لنا فى الطاعة) وتفسير الشيعة للآية ٧ فى سورة الرعد: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ بأن المقصود هم الأئمة، فهم ولاة الله وخزنة علمه. وقول الله تعالى فى آية٨فى سورة التغابن: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ على أن النور هو نور الإمام فى قلوب المؤمنين.

والأئمة هم أركان الأرض وحجته البالغة. وينسب إلى الإمام الرضا أنه قال: (الإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج، والجهاد وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف. الإمام يحل حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب (يدافع) عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة؛ الإمام كالشمس الطالعة للجللة بنورها العالم.. الإمام هو البدر المنير والسراج الظاهر.. المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب.. الخ).

ووفقا لما جاء فى المرجع الشيعى المعتمد (الكافى) فإن أعمال الناس ستعرض على النبى ﷺ وعلى الأئمة لقول الله تعالى فى سورة التوبة الآية ١٠٥ : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قال أبو عبد الله: المؤمنون هم الأئمة، وقال أيضا: (نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة.. وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة وموضع سر الله، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمة الله،

ونحـــن عهد الله، فمن وفّى بعهدنا وفّى بعهـــد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده).

ويقول الشـــيعة الإمامية إن الأئمة عندهم جميع الكتـــب التى نزلت من عند الله ، وإنهم يعرفونها على اختلاف ألســـنتها، وقد أورث الله الأئمة ذلك الكتاب الذى فيه تبيان كل شـــىء.. وعند الأئمة اســـم الله الأعظم، وعندهم (الجفر) وهو وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إســـرائيل، وعندهم مصحـــف فاطمة، وفيه مثل قرآننا ثلاث مـــرات، وليس فيه من قرآننا حرف واحد. و(فيما يتعلق بقرآن فاطمة فإن معظم الشيعة ينكرون وجوده).

وفـــى كتاب (ضحى الإســـلام) أوصاف كثـــيرة للأئمة منقولة عـــن كتاب (أصول الكافى)، يصل منها أحمد أمين إلى أن الشـــيعة الإمامية ينظرون إلى الإمام على أنه يتلقى علمه عن طريق الوحى، ويعده الله إعدادا خاصا ويعصمه من الذنوب ويورثه علـــم الأنبياء ويطلعه على ما كان وما ســـيكون، وأن النبـــىﷺ آثر الإمام عليًّا بعلم خاص، وأن الإمام نور الله فى أرضه.

ويصل أحمد أمين إلى أن هذا المفهوم لمكانة الإمام يؤدى إلى شلل العقل، وقتل الفكر، ويجعل للإمام سلطة لا حد لها ما دام هو المعصوم. وفضلا عن أن هذا المفهوم الشيعى لمكانة الإمام يتعارض مع المفهوم العام للسُـــنّة وهو- أن الله لم يخلق أســـرة من الناس تمتاز كلها متسلســـلة وإلى الأبد بامتياز لا حد له، وتكون فوق مســـتوى كل الناس فى العقـــل والدين والحكم والتصرف، وكلنا أولاد آدم، والآيات كلها تدل على أن القرابة والنسب لادخل لهما فى تقويم الأشخاص، ولايورث الصلاح والتقوى والعلم كما يورث المال، ومن مزايا الإســـلام العظيمة أن الإنســـان يوزن بأعماله لابآبائه ولابجاهه أوماله

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾

(الزلزلة آيتى ٧ ، ٨)

وقد كان الرسول ﷺ يقول لابنته يا فاطمة اعملى فإنى لن أغنى عنك من الله شيئا، كما كان من الموالى من هم أقرب إلى رسول الله ﷺ من بعض القرشيين، ويصل أحمد أمين من ذلك إلى أن دعوى أن الإمامة إرث وأن الإمام معصوم، وأن الإيمان بالإمام يغفر المعاصى، يتعارض مع عقيدة الإسلام، فقد كان عمر يخطئ، وكان أبوبكر يخطئ، ولو كان للإمام علىّ العصمة والعلم ببواطن الأمور وخفاياها لتغير وجه التاريخ، ولما قبل التحكيم، ولكان قد أدار الحروب أفضل مما أدارها.. والرسول ﷺ نفسه يقول كما جاء فى الآية ١٨٨ من سورة الأعراف: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾

ويستشهد أحمد أمين بشعر ابن هانئ الأندلسى المغربى الشيعى فى مبالغاته مدح المعز لدين الله الفاطمى:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبى محمد ... وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذى كانت تبشرنا به ... فى كتبها الأحبار والأخبار
هذا الذى ترجى النجاة بحبه ... وبه يُحط الإصرُ والأوزار
هذا الذى ترجى شفاعته غدا ... حقا وتخمد أن تراه النار
من آل أحمد كل فخر لم يكن ... يُنمى إليهم ليس فيه فخار

وينقل أحمد أمين من ديوان ابن هانئ الكثير عن قداسة الإمام ووجوب طاعته والتماس شفاعته. ويصل إلى أن الزمن اختلف، ونحن فى عصر عرف فيه الناس حقوقهم وواجباتهم، وهو عصر حرية الفرد وحرية الفكر والديمقراطية ولا يتفق ذلك مع نظرية انفراد الإمام المعصوم بالرأى والحكم إلى آخر الزمان.

□□□

ونعود إلى واحد من أهم الكتب التى صدرت لشرح عقائد الشيعة وهو كتاب (أصل الشيعة وأصولها) للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء وهو من أكبر علماء الشيعة فى النجف وتوفى فى إيران عام ١٩٥٤. ويقول: إن الإمامة هى الأصل الثالث من أصول الشيعة الإمامية. فالأصل الأول هو التوحيد، والثانى هو النبوة، ويشير إلى كذب ما فى بعض الكتب عن وجود مصحف يختص به الأئمة هو مصحف فاطمة. فيقول: إن عقيدة الشيعة الإمامية أن الكتاب الموجود فى أيدى المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله للإعجاز والتحدى ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه، ولاتحريف، ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ، ونص الكتاب العظيم :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر الآية ٩)

والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة فى نقصه أو تحريفه أخبار شاذة، أو أخبار آحاد لا تفيد علما ولا عملا، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار، أو يضرب بها الجدار، ويعتقد الإمامية أن كل من اعتقد أو ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أو نزول وحى أو كتاب هو كافر.

وهذا هو قول الشيعة الإمامية، وبعضهم يقول: إن ما يقال عنه مصحف فاطمة هو نسخة من المصحف المتداول وكان الإمام على يدون على الهامش تفسير بعض الآيات، التى كان يسأل عنها الرسول ﷺ، ويكتب إجاباته عليها. أما النص أو المتن فهو هو كلمة كلمة وحرفا حرفا.

وعن موضوع الإمامة يقول الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: إنه يمثل الفرق الجوهرى بين مذهب الشيعة الإمامية والمذاهب والفرق الأخرى، أما الفروق الأخرى فهى عرضية كالفروق بين أئمة الاجتهاد من أهل السنة كالحنفى والشافعى وغيرهما.

ويقول: إن الإمامة عند الشيعة الإمامية هى منصب إلهى يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبى ﷺ ويأمر النبى ﷺ بأن يدل الأمة عليه، ويأمرهم باتباعه، ويعتقد الشيعة الإمامية أن الله أمر نبيه بأن ينص على علىّ وينصبه علما للناس من بعده، وكان النبى ﷺ يعلم أن ذلك سوف يثقل على الناس، وقد يحملونه على المحاباة وللمحبة لابن عمه وصهره، ومن المعلوم أن الناس ذلك اليوم، وإلى اليوم، ليسوا فى مستوى واحد من الإيمان واليقين بنزاهة النبى ﷺ وعصمته، ولكن الله لم يعذره فى ذلك فأمره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ (المائدة آية ٦٧) فلم يجد بدا من الامتثال بعد هذا الإنذار الشديد، فخطب فى الناس عند منصرفه من حجة الوداع فى غدير خم، فنادى وجلهم يسمعون: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقالوا: بلى. فقال: (من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه) إلى آخر ما قال، ثم أكد ذلك فى مواطن أخرى تلويحا وتصريحا وإشارة ونصا حتى أدى الرسالة، وبلغ عند الله المعذرة.

هكذا يؤكد الشيخ كاشف الغطاء أولا- أن الإمامة أصل من أصول العقيدة الإسلامية فى مذهب الشيعة الإمامية، ويرى ثانيا- أن إمامة علىّ كرم الله وجهه إنما جاءت بأمر من الله وأن النبى ﷺ بلغ بها المسلمين صراحة فى حجة الوداع، وأن الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ المقصود بها بلغ المسلمين بأن عليًا هو الإمام من بعدك.

□□□

ويقول الشيخ كاشف الغطاء: إن الإمام عليًا امتنع أولا عن بيعة أبى بكر ثم رأى أن امتناعه ضرر كبير على الإسلام فضحى بنفسه. وقد رأى أن أبا بكر الذى أصبح خليفة قد نصح للإسلام، وصار يبذل جهده من أجل قوة الإسلام وإعزازه، وهذا

أقصى ما يتوخاه عليّ من الخلافة، ولذلك تابع وبايع حيث رأى أن فى ذلك مصلحة الإسلام، ويقول الشيخ كاشف الغطاء: إن عليا وهو على منصبه الإلهى من الإمامة وإن سلّم لغيره التصرف والرئاسة العامة فإن ذلك المقام مما يمتنع التنازل عنه بحال من الأحوال أما حين انتهى الأمر إلى معاوية، وعلم أن موافقته ومسالمته وإبقاءه واليا فيه ضرر كبير على الإسلام لم يجد بدا من حربه.

يقول الشيخ كاشف الغطاء: إن الإمامية يقولون: نحن شيعة على وتابعوه، نسالم من سالمه، ونحارب من حاربه، ونعادى من عاداه، ونوالى من والاه، إجابة وامتثالا لدعوة النبى ﷺ: "اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه" وعلى ذلك فإن حبنا وموالاتنا لعلى وولده إنما هى محبة وموالاة للنبى وإطاعة له.

ويقول إن الإمامية يعتقدون أن الله سبحانه لا يخلى الأرض من حجة على العباد من نبى أو وصى ظاهر مشهور، أو غائب مستور، وقد نص النبى ﷺ على عليّ وأوصى عليّ إلى ولده الحسن، وأوصى الحسن أخاه الحسين، وهكذا إلى الإمام الثانى عشر المهدى المنتظر. ويقول: إن علماء الدين لهم مؤلفات عديدة فى إثبات الوصية، مثل كتاب (الوصية) لهشام بن الحكم، وكتاب (الوصية) للحسين بن سعيد، وكتاب (الوصية) للحكم بن مسكين، وعشرات غيرهم فى القرن الأول الهجرى والقرن الثانى والقرن الثالث وحتى القرن الرابع، ومن أمثلة ما كتب فيه كتاب المسعودى (إثبات الوصية) وقال فيه: لكل نبى اثنا عشر وصيا وذكر المسعودى أسماء الأنبياء وأسماء أوصياء كل منهم وذكر تراجمهم.

□□□

وعن المهدى المنتظر يقول الشيخ كاشف الغطاء: قد تعلو نبرات الاستهتار والاستنكار من سائر فرق المسلمين ومن غيرهم على الشيعة الإمامية لاعتقادهم بوجود إمام غائب، ويستنكرون قول الشيعة الإمامية بأن الإمام الغائب، أو المهدى

المنتظر، من المستبعد بقاؤه مدة تتجاوز ألف سنة، وقد عاش نوح عليه السلام فى قومه -بنص الكتاب- ألف سنة إلا خمسين عاما. وقد اختلف علماء الحديث على حياة الخضر ونبوته، وقال بعضهم: إن الخضر حى موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية، وحكاياتهم عن رؤيته وسؤاله والأخذ منه أكثر من أن تحصى -بل إن الزمخشرى- وهو معتزلى - له كتاب اسمه (ربيع الأبرار) قال فيه: إن أربعة من الأنبياء: اثنان منهم فى السماء هما إدريس وعيسى، واثنان فى الأرض، هما إلياس والخضر، والشيعة يعتبرون مثل هذه الروايات أدلة على وجود الإمام الغائب وأنه ما زال حيًا. أما السؤال عن الحكمة والمصلحة فى بقائه مع غيبته وهل وجوده مع عدم الانتفاع به يتساوى مع عدم وجوده، فإن الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء يجيب عنه بأن هذه من الحِكَم الربانية، والمصالح الإلهية، ومن أسرار التكوين والتشريع، شأنه فى ذلك شأن الأحكام التى لاتزال حكمتها مجهولة إلى اليوم، مثل تقبيل الحجر الأسود مع أنه حجر لا يضر ولاينفع، ومثل فرض صلاة المغرب ثلاث ركعات وصلاة العشاء أربع ركعات والصبح ركعتين وغير ذلك من الأمور التى استأثر الله سبحانه بعلمها ولم يطلع عليها ملكا من الملائكة ولا نبيا من الأنبياء المرسلين مثل علم الساعة، وليلة القدر، وساعة الاستجابة. وعلى ذلك فإنهم يقولون: إن مثل هذه الأمور يجب التصديق بها إذا صح أن النبى ﷺ وأوصياءه المعصومين قد أخبروا بها.

وهذا -عندهم- ينطبق على الأئمة، وعلى وجه الخصوص الإمام الغائب وهو المهدى المنتظر ويقولون: إن النبى ﷺ تحدث عنه، ويقول الشيخ كاشف الغطاء: (ونحن وإن اعترفنا بجهل الحكمة وعدم الوصول إلى المصلحة، فإننا عندما أجبنا بعض عوام الشيعة على هذا السؤال ذكرنا لهم عدة وجوه تصلح للتعليل، ولكن ليس على سبيل البت، فإن المقام أكثر غموضا ودقة من ذلك، ولعل هناك أمورا تسعها

الصدور ولا تسعها السطور.. وإذا قامت البراهين على وجوب وجود الإمام فى كل عصر، وأن الأرض لا تخلو من حجة، وأن وجوده لطف، وتصرفه لطف آخر، فالسؤال عن الحكمة ساقط، والأدلة متوافرة).

□□□

وعند أهل السُنّة فإن هذه الإجابة غير كافية، لأنهم يؤمنون بأنه ليس هناك إنسان معصوم، وليس هناك إنسان يمكن أن يصل إلى مثل هذه المرتبة القريبة من مرتبة النبوة. وليس هناك إنسان ينفرد وحده بالقول. والمبدأ الإسلامى هو الشورى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى آية ٣٨) وحتى النبى المعصوم ﷺ أمره الله بأن يشاور صحابته: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(آل عمران آية ١٥٩)

ويقول فريق من علماء الشيعة: إن فكرة الإمام المعصوم تنطبق على الأئمة الاثنى عشر فقط ولا تنطبق على أحد بعدهم، حتى ولو كان من نسل آل البيت، ويقول هؤلاء: إنه لا يوجد الآن إمام معصوم، وإن من يسميهم الشيعة أئمة إنما يخلعون عليهم اللقب بمعنى آخر ليس فيه معنى العصمة. حتى الإمام الخمينى فهو ليس إماما بالمعنى الحقيقى، وكان لقبه وهو فى العراق (نائب الإمام) أى إن له منزلة عالية فى البناء الهرمى لعلماء الشيعة ولكن لا يصل إلى درجة أن يكون إماما، ولكن أنصاره أسقطوا كلمة (نائب) وشاع لقب الإمام.. ويقول هؤلاء: إن حوزات العلماء الشيعة فى إيران والعراق تسير فى هذا الاتجاه.

□□□

أما فكرة المهدى المنتظر فإن أحمد أمين يفسر إيمان الشيعة بها تفسيرا سياسيا واجتماعيا ودينيا، ويرى أن الشيعة اخترعوا هذه الفكرة بعد خروج الخلافة من أيديهم وانتقالها إلى معاوية، وقتل الإمام علىّ، وتسليم الإمام الحسن الأمر إلى معاوية، ثم قتل الإمام الحسين، حينئذ رأى الشيعة أن كل ذلك قد يسبب اليأس فى

نفوس أتباعهم فيذوب حزبهم، فكان منهم بعيدو النظر، بدءوا يبشـــرون بأن الحكم ســيرجع إليهم، وأن بنى أمية مصيرهم الهزيمة، ووضعــوا لذلك خططا منها الدعوة الســرية للتشــيع والعمل فى الخفاء على قلب الدولة الأمويــة وإضعافها، ثم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بقيام رئيس للشــيعة يلتف الناس حوله ولو ســرا، ويلقبونه بأنه الخليفة حقا، ورأوا أن ذلك لا يتم أيضا إلا بصبغة دينية، فهو الإمام، وهو المعصوم، ورأوا مــن إحكام أمرهم بث الأمل فى نفوس الناس حتى يشــجعهم ذلك ويثبتوا، ومنّوهــم بأن الأمر لهم فى النهاية، وأن الأمويين مهما أوتوا من النصر العاجل فإن الهزيمة تنتظرهم. ولكن قوما حولوا الأخبار الواردة من الشيعة الأولين عن السلطة المنتظرة إلى حاكم منتظر، لأن ذلك أقرب إلى أذهان العامة. وبذلك فإن تفسير أحمد أمين لنظريــة المهدى المنتظر بأنها رمز لحكومة شــيعية منتظرة جعلها المتأخرون حقيقــة، وجعلوا المهــدى المنتظر حقيقة، وأكثــروا من القول فيهــا وزادوا أوصافا وأخبارا ليلبسوه ثوب الحقيقة.

وهذا التفسير هو ما جاء فى تفسير الألوسى الذى قال: (وتأويل جماعة من الإمامية مــا ورد من الأخبــار فى الرجعة على رجــوع الدولة والأمــر والنهى دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات) ويضيف أحمد أمين: إن العامة لا يفهمون جيدا رجوع المعانــى، وإنما يفهمون رجوع الأشــخاص، ولذلك وضع لهم الشــيعة أخبار المهدى المنتظر بشــخصه ووصفه.. وعندما خرج الأمر من أيدى الشــيعة دعوا إلى تحمل آلام الحياة فى صبر وثبات، وزادوا على ذلك إجادة تصوير فكرة الأمل، وجسّــدوها فى المهدى.

□□□

ودليلا على أن فكرة المهدى كانت وســيلة الشــيعة فى الخروج من حالة الإحباط بعد الفشــل فــى الوصول إلى الحكم، أن هذه الفكرة ذاتهــا أخذها بعض الأمويين عندما وجدوا أنفســهم فى ظروف مماثلة، وذلك عندما فشــل خالد بن يزيد الأموى

وخرج الحكم من بيته إلى بيت مروان بن الحكم أشاعوا أن المهدى المنتظر سيعود بالحكم إلى آل خالد بن يزيد، وفعل العباسيون ذلك أيضا؛ فقد استغلوا فكرة المهدى المنتظر وادعوا أن المهدى فيهم وليس فى الشيعة. فاليأس عند الشيعة وعند البيت السفيانى هو السبب النفسى لقيام فكرة المهدى، ونظرية حرب القوم بسلاح من جنس سلاحهم هى الدافع لظهور فكرة المهدى العباسى.

ويقول أحمد أمين: إن هؤلاء القادة المهرة استغلوا أفكار الجمهور الساذجة المتحمسة للدين وللدعوة الإسلامية، فوضعوا الأحاديث عن رسول الله ﷺ، واحكموا أسانيدها وأذاعوها بطرق مختلفة فصدقها الجمهور الطيب لبساطته، وسكت رجال الشيعة، لأنها فى مصلحتهم، وسكت الأمويون لأنهم قلدوها فى بيت خالد بن يزيد الأموى، وسكت العباسيون لأنهم حولوها إلى منفعتهم.

ولكن الشيعة الزيدية، كانوا ينكرون نظرية المهدى المنتظر والرجعة إنكارا شديدا، وردوا الأحاديث المتعلقة بذلك، ورووا عن أئمة أهل البيت روايات تعارض روايات الأئمة الاثنى عشرية.

□□□

وهناك مسألة أخرى مثيرة هى مسألة (الجفر) الذى سبقت الإشارة إليه وهو جلد يقول بعض الشيعة: إنه مكتوب فيه علم ما سيقع لأهل البيت رواية عن جعفر الصادق فى زعمهم، وفيه أخبار عن المهدى المنتظر الذى يملك الديلم والقسطنطينية ويفتح روما وانطاكيا.. إلخ.. وجعلوا هذه الروايات أحاديث بعضها نسبوه إلى النبى ، وبعضها نسبوه إلى أئمة أهل البيت، وبعضها نسبوه إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه، وهكذا.. ويقول أحمد أمين: وكان لكل ذلك أثر سيىء فى تضليل عقول الناس وخضوعهم للأوهام، كما كان من أثره تلك الثورات المتتالية فى تاريخ المسلمين، ففى كل عصر يخرج داع أو دعاة كلهم يزعم أنه المهدى المنتظر، ويلتف حوله طائفة من الناس، كما حدث مع المهدى رأس الدولة الفاطمية، وفى تاريخ المغرب لا يكاد

يمر عصر من غير خروج من يدعى أنه المهدى، وكان آخرهم المهدى فى السودان، وفرقة البابية فى فارس التى دعا إليها ميرزا على محمد المولود سنة ١٢٣٥ هجرية، وهو من نسل الحسين، وقد ادعى- وهو فى الخامسة والعشرين من عمره- أنه (الباب) بمعنى أنه (نائب المهدى المنتظر)، وما أكثر عدد من خرجوا فى تاريخ الإسلام وادعوا المهدية، وما أكثر ما قاموا به من ثورات، وما تسببوا فيه من تشتيت للدولة الإسلامية، وانقسامها وضياع قوتها.

ويعلق أحمد أمين بقوله: هذا كله من جراء نظرية المهدية، وهى نظرية لا تتفق مع سنة الله فى خلقه، ولا تتفق مع العقل الصحيح، ولعل تقدم العقل والعلم ونظم الحكم يقضى على البقية الباقية من هذه الخرافة، ويحول الناس إلى أن ينشدوا العدل، ويعملوا بأيديهم وعقولهم فى إيجاد الحكم الصالح فى الواقع لا فى الخيال.

ويتحدث أحمد أمين عن أثر فكرة المهدى على الصوفية، فقد أخذوا الفكرة وصاغوها صياغة جديدة، وتحدثوا عن (القطب)، وكونوا حول القطب مملكة من الأرواح، وقالوا: إنه هو الذى يدبر الأمر فى كل عصر، وهو عماد السماء، ولولاه لوقعت على الأرض، ويلى القطب النقباء وهم كما يقول ابن عربى فى كتابه الشهير (الفتوحات المكية)، اثنا عشر نقيبا فى كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثنى عشر، كل نقيب عالم بخاصية كل برج، وبما أودع الله تعالى فى مقامه من الأسرار والتأثيرات.. وقالوا: إن الله أعلم هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة، ولهم القدرة على استخراج خفايا النفوس، وإبليس مكشوف عندهم، يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه، وهكذا كوَّن الصوفية أيضا مملكة باطنية وراء المملكة الظاهرية، اتخذوا فيها فكرة المهدى وغيروا ألفاظها.

فإذا أضيف ذلك إلى فكرة (التقية) التى يعتبرها بعض الشيعة أصلا من أصول المذهب، وهذه نقطة خلاف أخرى مع أهل السُنّة، وهى كما يقول أحمد أمين- النظام

السرى فى شئون الشيعة، فإذا أراد إمام الخروج والثورة على الخليفة وضع لذلك نظاما وتدابير، وأعلم أصحابه بذلك فتكتموه، وأظهروا الطاعة للخليفة، حتى تتم الخطة المرسومة، وإذا أحسوا ضررا من كافر أو سنى داروه وأظهروا له الموافقة، فهذه أيضا تقية.. وهكذا.

والتقية تمثل ركنا أساسيا فى تاريخ الشيعة، والثورات والانقلابات التى قام بها الشيعة على مدى التاريخ أساسها إمام مستتر يدعو إلى نفسه فى الخفاء، ويبعث بدعاته إلى الأمصار، فيتخذون البيعة له من أنصارهم ويطالبونهم بالكتمان والتظاهر بالطاعة للحاكم القائم، ويلزمونهم بأن يعملوا ما يطلبه منهم الولاة الظاهرون حتى لا تحوم حولهم شبهة، إلى أن تنضج الثورة، ويحين الوقت الملائم، فيعلنوا الخروج على الحاكم ويحملوا السلاح فى وجه الدولة..

وقد روى الكلينى فى كتابه (الكافى) الكثير عن التقية فروى -مثلا- عن أبى عبد الله أنه قال: (تسعة أعشار الدين فى التقية. ولادين لمن لاتقية له، والتقية فى كل شىء إلا فى النبيذ والمسح على الخفين)، وقال: إن الآية ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ (القصص آية٥٤) أى بما صبروا على التقية، وما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف، ويستند الشيعة إلى قول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (آل عمران آية ٢٨)، ويروى الشيعة عن أبى جعفر الصادق: (التقية من دينى ودين آبائى، ولا إيمان لمن لا تقية له).

وعلى هذا قال بعض الشيعة: إنه يحسن لمن اجتمع مع أهل السُنّة أن يوافقهم فى صلاتهم وصيامهم وسائر ما يدينون به، ويروى هؤلاء عن بعض أئمة أهل البيت: من صلى وراء سنى تقية فكأنما صلى وراء نبى، وفى وجوب قضاء هذه الصلاة عندهم خلاف؛ بعضهم قال يجب القضاء وبعضهم قال: إنه لا يجب.. وقد فسروا

كثيرا من أعمال الأئمة على أنهم فعلوها تقية، فسكوت عليّ على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان تقية، ومصالحة الحسن لمعاوية كانت تقية، كما كانت التقية سببا في تحميل الكلام معاني خفية، بحيث يكون الكلام ظاهرا يفهمه الناس، وباطنا يفهمه الخاصة، وفسر بعضهم القرآن على هذا النحو، فجعلوا كثيرا من الآيات رمزا لعليّ والأئمة.. وجـرى على هذا النمط الصوفية فقالوا: إن وراء كل علم ظاهر علماً باطناً، لا يصل إليه الإنسان من ظاهر اللفظ، ولكن يصل إليه عن طريق الإلهام والمكاشفة.

وأهل السُنّة يستنكرون التقية ويعتبرونها نفاقا لا يجوز، لأنه يجعل كل إنسان يسيء الظـن بالآخر، ولا يعرف إن كان صادقا فيما يقولـه وما يفعله، أم أنه يبطن غير ما يظهر وفقا لمبدأ التقية.

ويقول بعض علماء الشيعة الجدد: إن مبدأ التقية كان ضروريا في الماضي، حين كان الشـيعة يتعرضون للاضطهاد، وكانوا يضطـرون إلى إخفاء حقيقتهم أما الآن فلم يعد له مبرر.

□□□

وفي كتاب (الشيعة والسُنّة) للأستاذ إحسان الهي ظهير (مطبعة لاهور -باكستان- الطبعة الثالثة والعشرون ١٩٨٤).. فصل في الرد على القول بالتقية -من وجهة نظر أهل السُنّة- يقول: إن الآيات التي يستند إليها الشيعة لتبرير التقية مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة آية١٩٥) وقوله تعالى في آل عمران آية٢٨: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ ومثل قوله تعالى في سـورةالنحل آية١٠٦: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ لاتدل على جواز الكذب والتقية، مافي الآية ٣٩ من سورة الأحـزاب: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ ، وقولـه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ (سـورة التوبة آية ١١٩)، كما أن الأحاديث تؤكد على أن ظاهر المؤمن كباطنه، مثل

الحديث الذى رواه أبو داود: "كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا فهو لك مصدق وأنت به كاذب"، والحديث الوارد فى كتاب أصول الكافى: (لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده).. وفى نهج البلاغة للإمام علىّ: (الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك).

□□□

أما نقطة الخلاف الجوهرية فهى حول زواج المتعة

يقول الإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى كتابه (أصل الشيعة وأصولها): إن عقود الزواج عندنا قسمان:عقد الدوام وهو الزواج المطلق والعقد المرسل قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ (سورة النورة الآية ٣٢)، وعقد الانقطاع وهو الزواج المقيد المؤقت، والأول عليه اتفاق عامة المسلمين، أما الثانى ويعرف باسم (نكاح المتعة) فهو مصرح به بقوله تعالى فى سورة النساء آية ٢٤ ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ فهو زواج انفردت به الشيعة الإمامية من بين سائر فرق المسلمين وقالت بجوازه ومشروعيته إلى الأبد، ولا يزال النزاع محتدما حوله بين الفريقين من زمن الصحابة إلى اليوم.

ويقول: إن المتعة بمعنى العقد إلى أجل مسمى وبأجر معين شرعها الله وعمل بها جماعة من الصحابة فى حياة الرسول وبعد وفاته، واتفق المفسرون على أن جماعة من عظماء الصحابة كعبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله الانصارى، وابن مسعود، وأبى بن كعب وغيرهم كانوا يفتون بإباحتها.. والبعض يقول: إنها نُسخت وحُرمت بعد ما أبيحت، وحدث هنا الاضطراب فى النقل والاختلاف الذى لا يفيد ظنا، فضلا عن القطع. ومعلوم أن الحكم القطعى لا ينسخه إلا دليل قطعى، فتارة يقولون: إنها نسخت بالسُنّة وإن النبى حرّمها بعدما أباحها، وتارة يقولون: إنها نسخت بالكتاب.

وفى زواج المتعة لا ترث الزوجة عن زوجها.. ويبرر الإمام كاشف الغطاء ذلك بأن ذلك مثل الزوجة الكافرة فإنها لا ترث زوجها، وكذلك الزوجة المعقود عليها فى حالة مرض الزوج إذا مات زوجها قبل الدخول بها فإنها لا ترث زوجها أيضا. ويقول البعض: إن الزوجة فى زواج المتعة ليس لها عدة بعد انتهاء مدة الزواج، ويقول كاشف الغطاء- وغيره من أئمة الشيعة -إن العدة ثابتة بإجماع الإمامية- وهى حيضتان، أما النفقة فليس للزوجة نفقة فى زواج المتعة.. ويقول: إن النفقة ليست من لوازم الزوجية، فإن الناشز زوجة وليست لها نفقة، ولا حاجة للطلاق فى زواج المتعة، لأنه ينتهى بانتهاء المدة تلقائيا، أما الولد من زواج المتعة فينسب إلى أبيه.. ويقول كاشف الغطاء فى تفسير الحكمة من زواج المتعة: إنه يعصم من الحرام، ومن المعلوم أن حالة المسافرين لا تساعد على الزواج الدائم لما له من تبعات ولوازم لاتتمشى مع حالة المسافر، ومن تطول أسفارهم فى طلب علم أو تجارة أومرابطة ثغر وهم فى ميعة الشباب يعانون إمَّا العسر والحرج، مما تأباه شريعة الإسلام السمحة، وإما الوقوع فى الزنا، فلو عمل بزواج المتعة بأصوله من العقد، وحفظ النسل لانتهت من ديار المسلمين بيوت الدعارة.

ويقول أحمد أمين: إن الآية ٢٤ فى سورة النساء: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ذهب قوم إلى أنها وردت فى حل زواج المتعة، ودليلهم على ذلك أنه عبر بلفظ الاستمتاع وليس بلفظ النكاح، والاستمتاع والمتعة معنى واحد، وأمر أيضا بإيتاء الأجر، وفى هذا إشارة إلى أن العقد عقد إيجار على منفعة، كما أنه أمر بإيتاء الأجر بعد الاستمتاع، وذلك يكون فى عقد الإجارة والمتعة، أما المهر فإنه يجب فى النكاح، ويطالب الزوج بالمهر أولا قبل أن يمكّن من الاستمتاع.

وقد ردّ أهل السُنّة على ذلك وقالوا: إن الآية واردة فى الزواج المعروف الدائم، وليس فى زواج المتعة، لأن سياق الآية كلها فى الزواج، فقد ذكر أول الآيات أجناسا ممن يحرم الزواج منهن، وأباح ما وراء ذلك، فيكون معنى قوله تعالى:

﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الاستمتاع بعقد الزواج المعروف، وأما تسمية المهرأجرا فقد ورد فى القرآن تسمية المهر أجرا ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (النساء آية ٢٥)، أى المهر، وقوله تعالى فى سورة الأحزاب آية ٥٠ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ وأما أنه أمر بإيتاء الأجر بعد الاستمتاع- والقول بأن ذلك ليس الشأن فى الزواج الدائم، فإن فى الآية تقديما وتأخيرا ويفهم منها آتوهن أجورهن إذا أردتم الاستمتاع بهن.. وقد استدل أهل السُنّة فى تحريم زواج المتعة بقوله تعالى فى سورة المؤمنون آيتى ٥ ، ٦ وسورة المعارج آيتى ٢٩، ٣٠: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾

واستدلوا أيضا على أن زواج المتعة ليس زواجا، بأنه ينتهى بدون طلاق.

□□□

وقد وردت أحاديث فى المتعة، مثل قول محمد بن كعب عن ابن عباس: (إنما كانت المتعة فى أول الإسلام، كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة، فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم فتحفظ له متاعه، وتصلح له شأنه، حتى نزلت الآية ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ قال ابن عباس: فكل فرج سواهما حرام.. رواه الترمذى.. وعن علىّ أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة، وعن لحوم الحُمُر الأهلية زمن خيبر، وفى رواية أن الرسول ﷺ نهى عن متعة النساء فى خيبر، وفى رواية أن النبى ﷺ قال: "يا أيها الناس إنى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيله، ولاتأخذوا مما آتيتموهن شيئا".. رواه أحمد ومسلم -وفى رواية أن رسول الله ﷺ نهى فى حجة الوداع عن نكاح المتعة- رواه أحمد وأبو داوود.

يقول أحمد أمين -الظاهر من كل هذا أن نكاح المتعة أجازه الرسول ﷺ فى بعض الأوقات وعند الحاجة، كالسبب الذى ذكره ابن مسعود أنهم كانوا فى

غزوة من غير نســاء واشتد بهم الأمر حتى استفتوا الرسول فى الخصاء، وقد روى عــن الإباحة فى غزوات مختلفة آخرها يوم فتح مكة- ثم حرّمت.. وقد أكد عمر بن الخطاب تحريمها فى خلافته وأخذ الناس بتحريمها أخذا شديدا، وروى عنه أنه قال: (لا أوتى برجل نكح امرأة إلا رجمته) يقصد نكاح المتعة.

ثم انتهــى الخلاف بين أهل الســنة بإجماع الأئمة الأربعة وفقهــاء الأمصار على تحريمها ما عدا فقهاء الشيعة الإمامية.

ويقــول أحمد أمين: إذا حكّمنا العقل فى هذا النوع من النكاح لم نجده يفترق كثيرا عن الزنا، وإن القول بأن المتعة من باب اســتئجار بضع المرأة شــناعة يمجها الذوق الســليم، وفيه تســهيل لعيشــة الإباحة التى لاتتقيد بقيود، ولا تتحمل عبء الزواج، يضاف إلى ذلك ما يستتبعه نظام المتعة من فساد المرأة واستهتارها، وكثرة الضحايا منهن، فاستئجار المرأة أياما وتركها يعرضها لأشد أنواع الخطر، وهذا ماحدث فعلا، وإذا كان المثل الأعلى للأســرة زوجا واحدا، وزوجة واحــدة وعروة وثقى باقية أبدا ينشأ فى أحضانها الأبناء فما أبعد زواج المتعة عن هذه الصورة الكريمة للزواج.

وقد أكد الإمام الأكبر الدكتور محمد ســيد طنطاوى شــيخ الأزهر أن زواج المتعة محرم قطعا، وأن شــرط الزواج الصحيح شرعا أن يكون قائما على نية الاستمرار والتأبيد ولا يكون فى نية أحد الزوجين أن يكون زواجا مؤقتا..

وكذلك أكد وزير الأوقاف الدكتور محمود حمدى زقزوق تحريم زواج المتعة.

□□□

نقطة خلاف أخرى فى الفقه.

الشــيعة الإمامية يرون جواز الجمع بين صلاتى الظهر والعصر معا جمع تقديم أو تأخير ويرون أنهما وقت واحد، وكذلك الجمع بين المغرب والعشــاء جمع تقديم أوتأخــير على أنهما أيضا وقت واحد، وذلك قياســا علــى يوم عرفة فى الحج حيث يجمــع الحجاج بين الظهر والعصر جمع تقديــم أى فى وقت الظهر، وبين المغرب والعشاء جمع تأخير.

وفقهاء أهل السنة يختلفون فى ذلك. فمذهب الحنفية يمنع الجمع بين الصلاتين مطلقا فيما عدا يوم عرفة، ولا يبيحون الجمع حتى فى السفر. والشافعية والمالكية والحنابلة أجازوا الجمع فى السفر واختلفوا بعد ذلك فى جوازه للمرأة المرضع، والمريض.

وحجة الشيعة فى جواز الجمع بين الصلاتين استنادا إلى أحاديث عن أئمة أهل البيت. ومنها ما جاء فى البخارى فى باب تأخير الظهر إلى العصر من كتاب مواقيت الصلاة عن جابر بن زيد عن ابن عباس أن النبى صلى بالمدينة الظهر والعصر معا والمغرب والعشاء معا، فقال أيوب: (لعله فى ليلة مطيرة، قال: عسى) أى ربما كان ذلك فى ليلة مطيرة (صحيح البخارى الجزء الأول- ص١٤٤) وأخرج الترمذى فى باب الجمع بين الصلاتين فى الحضر عن سعيد بن جبيرعن ابن عباس قال: جمع رسول الله بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف، ولا مطر، قال فقيل لابن عباس: (ما أراد بذلك؟ قال: أراد ألا يحرج أمته) صحيح الترمذى - الجزء الأول ص ٣٥٥. وأخرج مسلم فى صحيحه باب الجمع بين الصلاتين عن أبى الزبيرعن سعيد بن جبيرعن ابن عباس قال: (صلى رسول الله ﷺ "الظهر والعصر جمعا بالمدينة فى غير خوف، ولا سفر، قال أبو الزبير: فسألت سعيدا: لم فعل ذلك؟ فقال: سألت ابن عباس كما سألتنى فقال: أراد ألا يحرج أحدا من أمته". وهكذا يروون أحاديث عن الجمع بين المغرب والعشاء. وقد فسر ابن حنبل ذلك بأن الحالات التى جمع فيها الرسول بين الصلاتين كانت فى الأغلب حالات المرض أو غيره من الأعذار القهرية.

ويستند الشيعة الإمامية إلى الآية ٧٨ من سورة الإسراء: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾

وقول الرازى: (فإن فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة كان الغسق عبارة عن أول المغرب وعلى هذا التقدير يكون المذكور فى الآية ثلاثة أوقات: وقت الزوال، ووقت

أول المغـرب، ووقت الفجر، وهـذا نقيض أن يكون الزوال وقتـا للظهر والعصر، فيكـون هذا الوقت مشـتركا بين هاتين الصلاتـين، وأن يكـون أول المغرب وقتا للمغرب والعشـاء، فيكون هذا الوقت مشـتركا أيضا بين هاتـين الصلاتين، فهذا يقتضى جواز الجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء مطلقا، إلا أنه دل الدليـل علـى أن الجمع فى الحضر لا يجوز من غيرعـذر، فوجب أن يكون الجمع جائزا بعذر السفر وعذر المطر وغيره) التفسير الكبير للرازى- الجزء ٢١ص ٢٧.

ومثال آخر للخلافات بين السنة والشيعة.

الشيعة الإمامية يقولون: إن السجود فى الصلاة لا يصح إلا على الأرض مباشرة، ويرون أن ذلك يناسب الغاية من السجود، وهى الشعور بالذل أمام الله، ويستندون فى ذلك إلى أحاديث مثل: (جعلت لى الأرض مسـجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل) وعن أنس بن مالك: كنا نصلى مع رسول الله ﷺ فى شدة الحـر فيأخذ أحدنا الحصباء (قطعة الحجر) فإذا برد وضعه وسـجد عليه. وأخرج الشـافعى فى كتابه (الأم) أن رسول الله ﷺ أمر رجلا إذا سجد أن يمكن وجهه من الأرض حتى تطمئن مفاصله ثم يكبر فيرفع رأسـه.. وقال الشـافعى: الجبهة موضع السـجود، ولو سجد على جبهته ودونها ثوب أو غيره لم يجزه السجود إلا أن يكون جريحـا فيكون له عـذر، وأوجب أن يضع المُصلِى راحتيـه على الأرض فى البرد والحر فإن لم يفعل وسترهما من حر أو برد وسجد عليهما فلا إعادة عليه ولا سجود سهو،(الإمام الشافعى - الأم - الجزء الأول ص ٩٩).

ومذاهب أهل السنة تستند إلى أحاديث عائشة أم المؤمنين وعن ابن عباس وأنس ابن مالك تؤكد أن الرسول ﷺ كان يصلى على خمرة (حصير أو سجادة من سعف النخيل) والشـيعة الإمامية يفضلون من ترابَ الأرض تراب كربلاء حيث استشهد فيها الإمام الحسين ويقولون: إنها تربة طيبة طاهرة، ولذلك يأخذون معهم قطعة من

أرض كربلاء يضعون جبهتهم عليها فى السجود، وإن كانوا يقولون: إن ذلك ليس من الفرض للحتم ولا من واجبات الشرع والدين وإنه من قبيل الاستحسان فقط. أما الأصل الواجب فهو السجود على أى شىء طاهر.

□□□

والشيعة الإمامية يتفقون مع السنة فى إباحة الخلع إذا كرهت الزوجة زوجها على أن تدفع له ما أخذته منه كما جاء فى الآية ٢٢٩ من سورة البقرة: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾

□□□

والشيعة الإمامية يؤمنون بفكرة البداء - ومعناها أن الله يمكن أن يعلم ما لم يكن يعلم. ويختلف أهل السنة فى ذلك ويستدلون على أن علم الله أزلى أبدى لا يضاف إليه ولاينقص بآيات كثيرة منها: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ طه آية٥٢-و ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ﴾ الحشرآية٢٢ -و ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ الطلاق آية ١٢ -

أى إن علم الله تام كامل بكل ما كان وما هو كائن وما سيكون وليس هناك جديد يمكن أن يضاف إليه.

والاختلافات الفقهية بين أهل السنة والشيعة لها مثيل فى اختلافات بين مذاهب أهل السنة، والرسول ﷺ نبه إلى التسامح فى هذه الاختلافات بقوله: اختلاف أمتى رحمة — وهذا الحديث رواه ابن عباس (الموسوعة الفقهية- جزء أول ص ٣ - طبعة وزارة الأوقاف بالكويت). وفى كتاب مجموع الفتاوى لابن تيمية أنه قيل لأحد المؤلفين وكان قد ألف كتابا أسماه (الاختلاف) فقيل له: لا تسمه كتاب الاختلاف ولكن سمه كتاب السعة، ويقول العلامة العسقلانى: (إن من خصائص أمة الإسلام

الاختلاف ولذلك قيل إجماعهم حجة واختلافهم رحمة) وهذا ما قاله ابن تيميةأيضا. فالاختلاف مباح فى المسائل والقضايا الفرعية التى يجوز فيها الاجتهاد ويشمل كل حكم شرعى ليس فيه دليل قطعى فى الكتاب والأحاديث المتواترة المشهورة.

وليست هذه كل نقط الخلاف.

ولكن يجب ألا ننسى نقط الاتفاق، وهى كثيرة وتتعلق بأصول ومبادئ وجوهر الإسلام، لكيلا نسمح بأن يتحول الاختلاف إلى عداء أو فرقة.

وكان الفقيه الكبير الشيخ فرج السنهورى يقول: إن الاختلافات بين أهل السُنّة والشيعة الإمامية لا تخرجهم من عباءة الإسلام، وبالتالى يمكن التقريب بالحوار، خاصة وأن الخلافات بعضها خلافات تاريخية تتعلق بالماضى، وبعضها الآخر ناتج عن الاعتماد على تفسيرات أو مصادر مختلفة للحديث.. وهذا مما يمكن أن يكون موضوعا للحوار.